المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 08-08-2005 العـــدد : 12002
الصفحـات : 53 المسلسل : 199

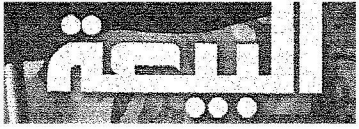

ملف صحفي

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 08-08-2005 العـــدد : 12002
الصفحـات : 53 المسلسل : 199

الملك عبد الله رائد المبادرات والإصلاح

تركي علي الربيعو*

مرتان هما التقيت فيهما الملك عبد الله بن عبد العزيز، الأولى في العام ٢٠٠٠ عندما تم اختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية، والثانية في مكة المكرمة وذلك في إطار ندوة الحج عن (مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية) للعام ١٤٢٤هجرية الموافق ٢٠٠٤ ميلادية.

كانت الندوة الأولى قد عقدت في دار الملك عبد العزيز في الرياض وحضرها عدد كبير من النخب المثقفة والأكاديمية من جميع أنحاء الوطن العربي، وقد افتتح الندوة الشيخ المثقف وأحد سراة الليل المبدع عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري.

كانت أعمال الندوة تدور حول الثقافة والمسألة الثقافية في الوطن العربي وبالتالي ما هو دور المثقف في واقع عربي يتراجع من الثورة إلى النهضة والأهم هو تعثر النهضة. ما يهم أنه وفي اليوم ما قبل الأخير للندوة، كنا على موعد لزيارة الأمير في مبنى مؤسسة الحرس الوطني، كان المبنى من الداخل يكتظ بالسعوديين شيوخاً وقبائل وأفراداً، وكنت سعيداً وأنا أراقب تلك المبادرة اليومية والأسبوعية التي يبتدرها الأمير للقاء الناس والتواصل معهم، لسماع شكواهم وهمومهم اليومية، في الرد عليهم وتلبية طلباتهم، بل الإسراع في تلبية تلك الطلبات، وهذه ميزة نادرة في زمن الاستبداد العربي حيث لا يرى الحاكم بأمره إلا بالمناسبات القومية والوطنية النادرة بدورها، ما أثار اهتمامي واهتمام أصدقائي هي تلك الطريقة البسيطة في استقبال زواره، فهو يجلس على مقربة منهم، كأنه واحد منهم يستقبلهم واحداً إثر واحد، الطاعن في السن منهم والطفل، فكثيراً من شيوخ القبائل وعامة البدو يأتون بأولادهم معهم، واللافت للنظر أن حنوه على الأبناء لا يقل عن رأفته بالشيوخ، كان يأخذ الصغار إلى حضنه ويقبلهم وهو يضحك، وكان لافتاً أيضاً، أن سيابة الشيوخ وهم يجهرون بمطالبهم تصل إلى وجه الأمير، ولكنه كان يمزج الجد في مطالبهم بالضحك، لم يكن الطقس غريباً علي، ولكن تلك الألفة بين الأمير وشعبه، كانت حالة نادرة ومثالية والأهم أساسية في مرتكزات ذلك العقد الاجتماعي الذي أرسى قواعده المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، وقواعد الدولة السعودية الجديدة التي نهضت وما زالت تنهض على قاعدة من مديونية المعنى بحسب الفرنسي مارسيل غوشيه في دراسته عن (مديونية المعنى وجذور الدولة).

كان حرص الأمير على لقائنا بانفراد وبطابع حميمي، شاهدا هو الآخر على المكانة التي يوليها الأمير للثقافة وللمثقفين، جلسنا في مكتبه الخاص، رحب بنا على طريقته البدوية وبلهجته البدوية الدافئة، تحدث عن احترامه للثقافة والمثقفين، وعن الدور الذي يلعبه المثقفون في نهضة الأمة، بدا الرجل ضجراً من السياسة وكان حديثه بمثابة دعوة للفصل ما بين الثقافي والسياسي، فهو يريد للمثقفين أن يخلصوا للثقافة وبالتالي أن ينتجوا مزيداً من المعرفة ومزيداً من الأسئلة، وأن يبتعدوا ما أمكن عن السياسة وخاصة بمعناها الشائع، وكان لافتاً في الجلسة حديثه عن فلسطين، وعن المدينة المقدسة بالذات، فقد بدأ عليه أنه واثق من عودة القدس الشريف، وكانت تلك أمنيته في الحديث منها، لذلك لم أفاجأ في مؤتمر القمة العربية المنعقد في بيروت، من مبادرة الأمير المعروفة بالسلام مقابل الأرض التي وضعت الكرة تماماً في الملعب الإسرائيلي الذي ما زال مقفلاً من يومها وحتى إشعار آخر.

المرة الثانية التي التقيت فيها الأمير عبد الله كانت في إطار ندوة الحج الكبرى عن (مكة عاصمة الثقافة الإسلامية) وكما هو واضح وبيّن فالهدف هو التركيز على الدور التاريخي والحضاري والثقافي لمكة المكرمة كعاصمة ينطلق إشعاعها ليطول كل العالم الإسلامي، كانت الندوة حافلة بالحوارات وكان مسكها حجاً إلى بيت الله المعمور، ثم عيداً، والعيد كما يقال في الانثربولوجيا هو احتفالي تذكاري بتلك الأزمة القربانية التي عاشها جدنا إبراهيم عليه السلام، وكالعادة في اليوم الثاني لعيد كنا على موعد في القصر الملكي في مكة المكرمة للسلام لمعايدة كل من الملك فهد حمه الله والأمير عبد الله.

كنا هناك نخبة من المثقفين والأكاديميين، وكعادتهم فقد استقبلنا من قبل الملك فهد والأمير عبد الله بوجهيهما البشوشين، ثم دعونا إلى الغداء ومن ثم السلام على الأمير عبد الله والتعرف علينا فرداً فرداً.

ما يهم من الحديث هو حرص الملك عبد الله على العلاقة المتميزة مع المثقفين، وهذا ما لاحظناه في المرتين اللتين التقيناه فيهما، وهذا من شأنه أن يكون فاتحة جديدة لعهده الجديد.

أعود للقول، إنه وفي المرتين اللتين التقيت فيهما الملك عبد الله، كنت أشعر أنني أمام رجل دولة لا يفوته زمام المبادرة حتى في أبسط الأشياء، من مبادرة لقائه بالمثقفين حيث من الممكن أن ينوب عنه غيره في ذلك، مستشاره أو وزير الثقافة، إلى مبادرة بيروت التي تجاوزت كل الحدود المسكوت عنها وفتحت الباب لسلام حرصت إسرائيل على وأده دائماً، إلى مبادرات الإصلاح والمصالحة التي رعاها الأمير عبد الله داخل المملكة وذلك على الرغم من الإرث الديني والسياسي الذي لا يزال يثقل كاهل هذا النوع من المبادرات. ما أتوقعه، في المرحلة المقبلة وهذا المخاض الصعب، أن تشهد المملكة في ظل رعاية الملك عبد الله مزيداً من تفعيل للنظام الإقليمي العربي لمواجهة التحديات، ومزيداً من مبادرات الإصلاح، فالرجل بحق هو رائد المبادرات والإصلاح معاً.

---

* كاتب سوري